

سورة النازعات

مَكِّيَّةٌ بِإِجْمَاعٍ. وَهِيَ خَمْسٌ أَوْ سِتٌّ وَأَرْبَعُونَ آيَةً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ ① وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا ② وَالسَّيْحَاتِ سَبْحًا ③
فَالسَّيْفَاتِ سَبْحًا ④ فَاَلْمَدِيرَاتِ أَمْرًا ⑤ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّجِفَةُ ⑥ تَتَّبِعُنَّ الرَّادِفَةَ ⑦
قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ⑧ أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ ⑨ يَقُولُونَ أَوْنَانًا لَمْرَدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ⑩
أَوْذَا كُنَّا عِظْمًا تَخِرَّةٌ ⑪ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ⑫ فَلِئِمَّا هِيَ زَجْرَةٌ وَجِدَةٌ ⑬
فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ⑭

قوله تعالى: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾: أقسم سبحانه بهذه الأشياء التي ذكرها على أن القيامة حق. و«النازعات»: الملائكة التي تنزع أرواح الكفار؛ قاله عليؑ (١)، وكذا قال ابن مسعود وابن عباس ومسروق ومجاهد: هي الملائكة تنزع نفوس بني آدم (٢). قال ابن مسعود: يريد أنفس الكفار ينزعها ملك الموت من أجسادهم، من تحت كل شعرة، ومن تحت الأظافر وأصول القدمين، نزعاً كالسَّفود يُنزع من الصوف الرطب، ثم يُغْرِقُهَا، أي: يُرْجِعُهَا فِي أَجْسَادِهِمْ، ثم ينزعها، فهذا عمله بالكفار (٣). وقاله ابن عباس (٤).

وقال سعيد بن جببر: نُزِعَتْ أَرْوَاحُهُمْ، ثم عُرِّقَتْ، ثم حُرِّقَتْ؛ ثم قُدِّفَ بِهَا فِي النَّارِ. وقيل: يرى الكافر نفسه في وقت النزاع كأنها تغرق.

(١) زاد المسير ١٤/٩، وأخرجه سعيد بن منصور وابن المنذر، كما في الدر المنثور ٦/٣١٠.

(٢) تفسير الطبري ٥٧/٢٤ والنكت والعيون ٦/١٩٢، والمحرر الوجيز ٥/٤٣٠.

(٣) ذكره بنحوه البغوي ٤/٤٤١.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم، كما ذكر ابن كثير عند تفسير هذه الآية، والسيوطي في الدر المنثور ٦/٣١٠.

وقال السُّدِّيُّ: و«النازعات»: هي النفوسُ حين تغرقُ في الصدور.

مجاهد: هي الموتُ ينزَعُ النفوس.

الحسن وقتادة: هي النجومُ تنزِعُ من أفقٍ إلى أفقٍ^(١)، أي: تذهب، مِن قولهم: نَزَعَ إليه، أي: ذهب، أو من قولهم: نَزَعَت الخيل، أي: جرت. «غَرَقًا» أي: أنها تَغْرَقُ وتَغِيْبُ وتطلُعُ من أفقٍ إلى أفقٍ آخَرَ. وقاله أبو عبيدة وابن كيسان والأخفش^(٢).

وقيل: النازعات القيسيُّ تنزَعُ بالسُّهام؛ قاله عطاءٌ وعكرمة^(٣). و«غَرَقًا» بمعنى: إغراقًا، وإغراقُ النازع في القوس أن يبلغ غاية المدِّ، حتى ينتهي إلى النَّصْلِ. يقال: أغرق في القوس، أي: استوفى مدّها، وذلك بأن تنتهي إلى العَقَبِ الذي عند النَّصْلِ الملفوفِ عليه. والاستغراقُ: الاستيعاب. ويقال لِقِشْرَةِ البَيْضَةِ الداخِلَةِ: «غَرَقِيٌّ»^(٤).

وقيل: هم العزاة الرُّمَاءُ^(٥).

قلت: هو والذي قَبَلَهُ سِوَاءٌ؛ لَأَنَّهُ إِذَا أَقْسَمَ بِالْقَيْسِيِّ فَالْمَرَادُ النَّازِعُونَ بِهَا تَعْظِيمًا لَهَا، وهو مثلُ قوله تعالى: ﴿وَالْعَلَدِيَّتِ صَبْحًا﴾ والله أعلم. وأراد بالإغراق: المبالغة في النَّزْعِ، وهو سائِعٌ في جميع وجوه تأويلها.

وقيل: هي الوحشُ تنزَعُ إلى الكَلَأِ^(٦) وتَنْفِرُ. حكاها يحيى بن سلام. ومعنى «غَرَقًا» أي: إبعادًا في النَّزْعِ.

قوله تعالى: ﴿وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا﴾ قال ابن عباس: يعني الملائكة تَنْشِيطُ نَفْسَ الْمُؤْمِنِ

(١) أخرج هذه الأقوال الطبري ٥٨/٢٤-٥٩.

(٢) المحرر الوجيز ٥/٤٣٠، وقول أبي عبيدة في مجاز القرآن ٢/٢٨٤.

(٣) المحرر الوجيز ٥/٤٣٠، وتفسير البغوي ٤/٤٤١، وأخرجه الطبري ٥٩/٢٤ عن عطاء.

(٤) وهي القشرة الرقيقة الملتزقة بياض البيض. المعجم الوسيط (غرق).

(٥) تفسير البغوي ٤/٤٤١.

(٦) في (د) و(م) و(ي): من الكَلَأِ، وكذا وقع في النكت والعيون ٦/١٩٢ والكلام منه، وفي (ظ): بين

الكَلَأِ، والمثبت من البحر ٨/٤١٩، وروح المعاني ٣٠/٢٥.

فتقبضها، كما يُنشط العقال من يد البعير إذا حُلَّ عنه. وحكى هذا القول الفراء ثم قال: والذي سمعت من العرب أن يقولوا: أنشطت، وكأنما أنشط من عقال. وربطها: نشطها، والرابط: الناشط، وإذا ربطت الحبل في يد البعير فقد نشطته، فأنت ناشط، وإذا حللته فقد أنشطته، وأنت منشط^(١).

وعن ابن عباس أيضاً: هي أنفس المؤمنين عند الموت تنشط للخروج، وذلك أنه ما من مؤمن إلا وتعرض عليه الجنة قبل أن يموت، فيرى فيها ما أعد الله له من أزواجه وأهله من الحور العين، فهم يدعونه إليها، فنفسه إليهم نشطة أن تخرج فتأتيهم^(٢).

وعنه أيضاً قال: يعني أنفس الكفار والمنافقين تنشط كما ينشط العقب الذي يُعقب به السهم. والعقب بالتحريك: العصب الذي تعمل منه الأوتار، الواحدة عقبه؛ تقول منه: عقب السهم والقدح والقوس عقباً: إذا لوى شيئاً منه عليه^(٣). والنشط: الجذب بسرعة، ومنه الأنشطة: عقدة يسهل انحلالها إذا جذبت مثل عقدة التكة. وقال أبو زيد: نشطت الحبل أنشطه نشطاً: عقده بأنشطة. وأنشطته، أي: حللته، وأنشطت الحبل^(٤)، أي: مددته حتى ينحل. وقال الفراء: أنشط العقال، أي: حل، ونشط أي: ربط الحبل في يديه^(٥).

وقال الليث^(٦): أنشطته بأنشطة وأنشوطتين، أي: أوثقته، وأنشطت العقال: أي: مددت أنشطته فانحلت. قال: ويقال: نشط بمعنى أنشط، لغتان بمعنى. وعليه

(١) معاني القرآن للفراء ٣/٢٣٠، وتفسير الطبري ٢٤/٥٩-٦٠.

(٢) ذكره البغوي ٤/٤٤١، والطبرسي في مجمع البيان ٣٠/٢١.

(٣) الصحاح (عقب).

(٤) في الصحاح (نشط) والكلام منه: وانتشطت الحبل، وكلاهما صواب كما في كتاب العين ٦/٢٣٣.

(٥) سلف قول الفراء قريباً.

(٦) بنحوه في العين ٦/٢٣٢.

يصحُّ قولُ ابنِ عباسٍ المذكورُ أولاً.

وعنه أيضاً: الناشطاتُ: الملائكةُ؛ لنشاطها، تذهبُ وتجيءُ بأمرِ الله حيثُما كان. وعنه أيضاً وعن عليٍّ رضي الله عنهما: هي الملائكةُ تُنشِطُ أرواحَ الكفارِ، ما بين الجِلْدِ والأظفارِ، حتى تُخرِجَها من أجوافهم، نشطاً بالكرب والغم^(١)، كما يُنشِطُ الصوفُ من سفود الحديد. وهي من النشط بمعنى الجذبِ، يقال: نشطتُ الدلو، أنشطتها بالكسر، وأنشطتها بالضم: أي: نزعتها. قال الأصمعيُّ: بئرٌ أنشاط: أي: قريبة القعرِ، تخرجُ الدلو منها بجذبةٍ واحدة. وبئرٌ نشوطة، قال: وهي التي لا يخرجُ منها الدلو حتى تُنشِطَ كثيراً^(٢).

وقال مجاهد: هو الموتُ يَنشِطُ نفسَ الإنسان.

السُّدِّيُّ: هي النفوسُ حين تُنشِطُ من القدمين^(٣).

وقيل: النازعاتُ: أيدي العزاةِ أو أنفسُهم، تنزع القسيَّ بإغراق السهام، والتي تُنشِطُ الأوهاق^(٤).

عكرمةٌ وعطاءٌ: هي الأوهاقُ تُنشِطُ البهائم^(٥).

وعن عطاء أيضاً وقتادة والحسن والأخفش: هي النجومُ تُنشِطُ من أفقٍ إلى أفق،

(١) ذكره عن عليٍّ رضي الله عنه سعيدي بن منصور وابن المنذر كما في الدر المنثور ٣١٠/٦.

(٢) الصحاح (نشط).

(٣) تفسير الطبري ٦٠/٢٤، والنكت والعيون ١٩٣/٦.

(٤) في (م): وهي التي تنشط الأوهاق، والمثبت من النسخ الخطية، والكشاف ٢١٢/٤ والكلام منه. وقد سلف نحو هذا القول قريباً. والأوهاق جمع وَهَقَ، وهو الجبل في أحد طرفيه أنشودة يُطرح في عنق الدابة والإنسان حتى يؤخذ. المعجم الوسيط (وهق).

(٥) في النسخ عدا (ظ): السهام، والمثبت من (ظ). وأخرج هذا القول عن عطاء الطبري ٦١/٢٤ دون قوله: تنشط البهائم. وكذا أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر كما في الدر المنثور ٣١١/٦.

أي: تذهب^(١). وكذا في «الصَّحاح»: «وَالنَّاشِطَاتِ نَشِطًا» يعني النجوم [تَنْشِطُ] من بُرْجِ إِلَى بَرَجٍ، كالثورِ الناشِطِ من بلدٍ إِلَى بلدٍ. والهمومُ تَنْشِطُ بصاحبها؛ قال هَمِيَانُ ابنُ قُحَافَةَ:

أَمَسْتُ هُمومِي تَنْشِطُ المَنَاشِطَا الشَّامَ بي طَوْرًا وَطَوْرًا وَاسِطًا^(٢)
أبو عبيدة وعطاءً أيضاً: الناشطاتُ: هي الوحشُ حين تَنْشِطُ من بلدٍ إِلَى بلدٍ، كما أَنَّ الهمومَ تَنْشِطُ الإنسانَ من بلدٍ إِلَى بلدٍ؛ وأنشد قول هَمِيَان: أَمَسْتُ هُمومِي، البيت^(٣).

وقيل: «والنازعاتِ» للكافرين «والناشطاتِ» للمؤمنين، فالملائكةُ يجذبون رُوحَ المؤمنِ بِرَفِقٍ، والنزَعُ: جذبٌ بشدةٍ، والنَّشِطُ: جذبٌ بِرَفِقٍ. وقيل: هما جميعاً للكفار، والآيتان بعدهما للمؤمنين عند فراق الدنيا.

قوله تعالى: ﴿وَالسَّيِّحَاتِ سَبْعًا﴾ قال عليٌّ رضي الله عنه: هي الملائكةُ تَسْبِحُ بأرواحِ المؤمنين^(٤).

الكلبيُّ: هي الملائكةُ تقبضُ أرواحَ المؤمنين، كالذي يسبُحُ في الماء، فأحياناً يَنْعَمِسُ، وأحياناً يرتفع، يَسْلُونَهَا سَلًّا رَفِيقًا بِسَهولَةٍ، ثم يَدْعُونَهَا حَتَّى تَسْتَرِيحَ^(٥). وقال مجاهد وأبو صالح: هي الملائكةُ ينزلون من السماء مُسْرِعِينَ لأمرِ الله،

(١) تفسير الطبري ٦١/٢٤، والمحزر الوجيز ٤٣٠/٥، وتفسير البغوي ٤٤٢/٤، وزاد المسير ١٦/٩.
(٢) الصحاح (نشط)، وما سلف بين حاصرتين منه، والبيت في مجاز القرآن ٢٨٤/٢، وتفسير الطبري ٦٢/٢٤، وتهذيب اللغة ٣١٤/١١، والنكت والعيون ١٩٣/٦، والمحزر الوجيز ٤٣٠/٥. وهميان ابن قحافة هو أحد بني عوفاة بن سعد بن زيد مناة بن تميم، ويقال: أحد بني عامر بن عبيد بن الحارث، راجز مُحْسِن إسلامي، وكان في الدولة الأموية. المؤلف والمختلف للأمدى ص ٣٠٤.
(٣) النكت والعيون ١٩٣/٦ عن أبي عبيدة، وهو بنحوه في مجاز القرآن ٢٨٤/٢، وذكره عن عطاء ابن عطية في المحزر الوجيز ٤٣٠/٥. وذكر الطبري ٦١/٢٤-٦٢ جميع هذه الأقوال ثم قال: فكلُّ ناشِطٍ فداخِلٌ فيما أقسم به، إلا أن تقوم حجة يجب التسليم لها بأن المعنى بالقسم من ذلك بعضٌ دون بعض.
(٤) أخرجه سعيد بن منصور وابن المنذر كما في الدر المنثور ٦/٣١٠.
(٥) زاد المسير ١٦/٩.

كما يقال للفرس الجواد: سابح، إذا أسرع في جَرِيهِ^(١). وعن مجاهد أيضاً: الملائكة تَسْبِخُ في نزولها وُصُوعودها^(٢).

وعنه أيضاً: السابحات: الموتُ يَسْبِخُ في أنفُسِ بني آدم^(٣).

وقيل: هي الخيلُ الغُزاةُ؛ قال عنترة:

والخيلُ تعلمُ حينَ تَسْبُحُ بَحُ في حِياضِ الموتِ سَبِحا^(٤)
وقال امرؤ القيس:

مِسْحٌ إذا ما السَّابحاتُ على الوَتَى أثَّرنَ غُباراً بالكَدِيدِ المُرْكَلِ^(٥)

قتادة والحسن: هي النجومُ تَسْبِخُ في أفلاكها، وكذا الشمسُ والقمر؛ قال الله تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠]^(٦).

عطاء: هي السُّفنُ تَسْبِخُ في الماء^(٧).

ابن عباس: السابحاتُ: أرواحُ المؤمنين تسبِخُ شوقاً إلى لقاء الله ورحمته حين تخرج^(٨).

(١) تفسير البغوي ٤/ ٤٤٢، وزاد المسير ٩/ ١٦، وأخرجه عن مجاهد الطبري ٢٤/ ٦٢-٦٣.

(٢) ذكر الطبري ٢٤/ ٦٣ هذا القول مع الذي قبله على أنهما قول واحد، ولم يفرق بينهما.

(٣) النكت والعيون ٦/ ١٩٣، وزاد المسير ٩/ ١٦، وأخرجه الطبري ٢٤/ ٦٢.

(٤) النكت والعيون ٩/ ١٩٣، ولم نقف على البيت في المطبوع من ديوان عنترة، وذكر القول دون البيت البغوي ٤/ ٤٤٢.

(٥) ديوان امرئ القيس ص ٢٠. قال النحاس في شرح المعلقات ١/ ٣٧: المِسْحُ: الكثير الجَرِي. والسابحات: السريعات. والوَتَى: الفتور. والكديد: المكان الغليظ. والمرْكَلُ: الذي أثَّرت فيه بحوافرها. ومعنى البيت: أن الخيل السريعات إذا فترت وأثارت الغبار بأرجلها من التعب، جرى هذا الفرس جَرِيّاً سهلاً كما تَسْبِخُ السحابُ المطرَ.

(٦) النكت والعيون ٦/ ١٩٣، وتفسير البغوي ٤/ ٤٤٢. وأخرجه عن عطاء الطبري ٢٤/ ٦٣، وعن الحسن أخرجه ابن المنذر كما في الدر المنثور ٦/ ٣١١.

(٧) النكت والعيون ٦/ ١٩٣، وأخرجه الطبري ٢٤/ ٦٣.

(٨) أخرجه جوير في تفسيره، كما ذكر السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٣١٠.

قوله تعالى: ﴿فَالسَّيِّئَاتِ سَبَقًا﴾ قال عليّ رضي الله عنه: هي الملائكة تسبق الشياطين بالوحي إلى الأنبياء عليهم السلام. وقاله مسروق ومجاهد.

وعن مجاهد أيضاً وأبي رزق: هي الملائكة سبقت ابن آدم بالخير والعمل الصالح. وقيل: تسبق بني آدم إلى العمل الصالح فتكتبه.

وعن مجاهد أيضاً: الموت يسبق الإنسان.

مقاتل: هي الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة.

ابن مسعود: هي أنفس المؤمنين تسبق إلى الملائكة الذين يقبضونها وقد عاينت السرور، شوقاً إلى لقاء الله تعالى ورحمته. ونحوه عن الربيع، قال: هي النفوس تسبق بالخروج عند الموت.

وقال قتادة والحسن ومعمر: هي النجوم يسبق بعضها بعضاً في السير.

عطاء: هي الخيل التي تسبق إلى الجهاد^(١).

وقيل: يحتمل أن تكون السابقات ما يسبق من الأرواح قبل الأجساد إلى جنة أو نار؛ قاله الماوردي^(٢).

وقال الجرجاني: ذكر «السابقات» بالفاء لأنها مشتقة من التي قبلها، أي: والألأئي يسبحن فيسبحن، تقول: قام فذهب؛ فهذا يوجب أن يكون القيام سبباً للذهاب، ولو قلت: قام وذهب، لم يكن القيام سبباً للذهاب.

قوله تعالى: ﴿فَالْمُدْرَاتِ أَمْرًا﴾ قال القشيري: أجمعوا على أن المراد الملائكة.

وقال الماوردي^(٣): فيه قولان: أحدهما: الملائكة؛ قاله الجمهور. والقول

(١) تنظر هذه الأقوال في تفسير الطبري ٦٤/٢٤، والنكت والعيون ١٩٣/٦، وتفسير البغوي ٤/٤٤٢، وزاد المسير ١٧/٩.

(٢) في النكت والعيون ٦/١٩٤.

(٣) المصدر السابق.

الثاني: هي الكواكب السبعة؛ حكاها خالد مَعْدَان عن مُعَاذ بن جَبَل.

وفي تدبيرها الأمر وجهان: أحدهما: تدبيرُ طُلُوعِهَا وَأُفُولِهَا. الثاني تدبيرُ ما قضاه الله تعالى فيها من تَقَلُّبِ الأحوال. وحكى هذا القول أيضاً القُشَيْرِيُّ في تفسيره، وأنَّ الله تعالى علَّق كثيراً من تدبير أمرِ العالمِ بحركاتِ النجوم، فأضيفَ التدبيرُ إليها وإن كان من الله، كما يسمَّى الشيءُ باسمِ ما يُجاوِزُه.

وعلى أنَّ المرادَ بالمُدَبِّرَاتِ الملائكةُ، فتدبيرُها: نزولُها بالحلالِ والحرامِ وتَفْصِيلُه؛ قاله ابن عباس وقتادة وغيرهما^(١). وهو إلى الله جل ثناؤه، ولكنَّ لَمَّا نزلت الملائكةُ به سَمِيَتْ بذلك، كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣] وكما قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ﴾ [البقرة: ٩٧] يعني جبريل، نَزَّلَه على قلبِ محمدٍ ﷺ، والله عزَّ وجلَّ هو الذي أنزله.

وروى عطاء عن ابن عباس: «فَالْمُدَبِّرَاتِ أُمْرًا»: الملائكةُ وكُلَّت بتدبيرِ أحوالِ الأرضِ في الرياحِ والأمطارِ وغيرِ ذلك. قال عبد الرحمن بنُ سابط: تدبيرُ أمرِ الدنيا إلى أربعة؛ جبريلُ وميكائيلُ وملكُ الموتِ - واسمُه عزرائيل - وإسرافيلُ. فأما جبريلُ فموكَّلُ بالرياحِ والجنودِ، وأما ميكائيلُ فموكَّلُ بالقَطْرِ والنباتِ، وأما ملكُ الموتِ فموكَّلُ بقبضِ الأنفسِ في البرِّ والبحرِ، وأما إسرافيلُ فهو ينزلُ بالأمرِ عليهم^(٢). وليس من الملائكةِ أقربُ من إسرافيل^(٣)، وبينه وبين العرشِ مسيرةُ خمسِ مئةِ عامٍ. وقيل: أي: وكُلُّوا بأمورٍ عَرَفَهُم اللهُ بها^(٤).

ومن أوَّلِ السورةِ إلى هنا قَسَمَ أقسَمَ اللهُ به، ولله أن يُقسِمَ بما شاء من خَلْقِه،

(١) ذكره الفراء في معاني القرآن ٣/٢٣٠ دون نسبة.

(٢) سلف ٨/١٧.

(٣) قطعة من خير أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٣٩٥) عن وهيب بن عروة قال: بلغني أن أقرب الخلق من الله عز وجل إسرافيل...

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط ٤/٤١٩، والبغوي ٤/٤٤٢ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وليس لنا ذلك إلا به عزَّ وجلَّ. وجواب القسم مُضْمَرٌ، كأنه قال: والنازعات وكذا وكذا لَتُبْعَثَنَّ ولتَحَاسِبُنَّ. أَضْمِرَ لمعرفة السامعين بالمعنى؛ قاله الفراء^(١). وبدلَّ عليه قوله تعالى: ﴿أَوِذَا كُنَّا عِظْمًا تَخِرَّةً﴾ أَلَسْتَ تَرَى أَنَّهُ كَالجِوَابِ لِقَوْلِهِمْ: «أِذَا كُنَّا عِظْمًا نَخِرَةً» نُبْعَثُ؟ فاكْتَفَى بِقَوْلِهِ: «أِذَا كُنَّا عِظْمًا نَخِرَةً».

وقال قومٌ: وقع القسم على قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَن يَخْشَى﴾ وهذا اختيارُ الترمذيِّ ابنِ عليٍّ. أي: فيما قصصت من ذكر يوم القيامة، وذكر موسى وفرعون «لَعِبْرَةً لِمَن يَخْشَى».

ولكنَّ وَقَعَ الْقِسْمُ عَلَى مَا فِي السُّورَةِ مَذْكُورًا ظَاهِرًا بَارِزًا أَحْرَى وَأَقْمَنُ مِنْ أَنْ يُؤْتَى بِشَيْءٍ لَيْسَ بِمَذْكُورٍ فِيهَا، قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: وَهَذَا قَبِيحٌ؛ لِأَنَّ الْكَلَامَ قَدْ طَالَ فِيمَا بَيْنَهُمَا.

وقيل: جواب القسم: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ لِأَنَّ الْمَعْنَى: قَدْ أَتَاكَ^(٢).

وقيل: الجواب ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّجِيفَةُ﴾ عَلَى تَقْدِيرٍ: لِيَوْمِ تَرْجُفُ، فَحُذِفَ اللَّامُ^(٣).

وقيل: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ، وتقديره: يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ وَتَتَّبَعُهَا الرَّادِفَةُ وَالنَّازِعَاتُ غَرَقًا^(٤).

وقال السَّجِسْتَانِيُّ: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ هَذَا مِنَ التَّقْدِيمِ وَالتَّأخِيرِ، كَأَنَّهُ قَالَ: فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ وَالنَّازِعَاتِ. ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: وَهَذَا خَطَأٌ؛ لِأَنَّ الْفَاءَ لَا يُفْتَحُ بِهَا الْكَلَامُ، وَالْأَوَّلُ الْوَجْهُ.

وقيل: إِنَّمَا وَقَعَ الْقِسْمُ عَلَى أَنَّ قُلُوبَ أَهْلِ النَّارِ تَجْفُ، وَأَبْصَارُهُمْ تَخْشَعُ،

(١) في معاني القرآن ٣/ ٢٣٠-٢٣١.

(٢) ذكره أبو حيان في البحر ٨/ ٤٢٠ وقال: ليس بشيء.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٣١.

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٤٤٢.

فانتصابُ «يومَ ترْجُفُ الراجفة» على هذا المعنى، ولكن لم يقع عليه. قال الزجاج^(١):
أي: قلوبٌ واجفةٌ يومَ ترْجُفُ. وقيل: انتصبَ بإضمارٍ: أذكر.

و«ترْجُفُ» أي: تَضْطَرِبُ. و«الراجفة» أي: المُضْطَرِبَة، كذا قال عبد الرحمن بن زيد؛ قال: هي الأرضُ، والرادفةُ: الساعة^(٢).

مجاهد: الراجفةُ: الزلزلة، ﴿تَبْعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ الصيحة.

وعنه أيضاً وابن عباس والحسن وقتادة: هما الصيحتان. أي: النفختان. أمَّا الأولى فتُمِيتُ كلَّ شيءٍ بإذن الله تعالى، وأمَّا الثانيةُ فتُحيي كلَّ شيءٍ بإذن الله تعالى^(٣). وجاء في الحديث عن النبي ﷺ قال: «بينهما أربعون سنة»^(٤).

وقال مجاهد أيضاً: الرادفةُ حين تنشقُّ السماء، وتُحملُ الأرضُ والجبال فتدكُّ دكَّةً واحدة، وذلك بعد الزلزلة^(٥).

وقيل: الراجفةُ تحركُ الأرض، والرادفةُ: زلزلةٌ أخرى تُفني الأرضين. فالله أعلم. وقد مضى في آخر «النمل» ما فيه كفايةٌ في النفخ في الصور^(٦).

وأصلُ الرجفةِ الحركة، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ﴾ [المزمل: ١٤] وليست الرجفةُ هاهنا من الحركة فقط، بل من قولهم: رجف الرعدُ يرجف رجفاً ورجيفاً، أي: أظهر الصوتَ والحركة، ومنه سميت الأراجيفُ؛ لاضطراب الأصوات بها، وإفاضة الناس فيها؛ قال:

(١) في معاني القرآن ٢٧٨/٥.

(٢) أخرجه الطبري ٦٨/٢٤.

(٣) أخرجه الطبري ٦٥/٢٤-٦٦ عن ابن عباس والحسن وقتادة.

(٤) سلف ٢١٨/١٦.

(٥) أخرجه الطبري بنحوه ٦٧/٢٤.

(٦) ٢١٨: ١٦ فما بعد.

أَبِالْأَرَاخِيفِ يَا ابْنَ اللُّؤْمِ تُوعِدُنِي وفي الْأَرَاخِيفِ خِلْتُ اللُّؤْمَ وَالخَوْرَا^(١)
وعن أبي بن كعب: أن رسول الله ﷺ كان إذا ذهب ربع الليل قام ثم قال:
«يا أيها الناس، اذكروا الله، جاءتِ الرَّاجِفَةُ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ، جاء الموت بما فيه»^(٢).
﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ أي: خائفةٌ وَجِلَةٌ؛ قاله ابن عباس، وعليه عامةُ
المفسرين^(٣). وقال السُّدِّيُّ: زائلةٌ عن أماكنها، نظيره: ﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ﴾
[غافر: ١٨] ^(٤). وقال المؤرِّج: قلقةٌ مُستوفزةٌ، مُرتكضةٌ غيرُ ساكنة^(٥). وقال المبرد:
مضطربةٌ. والمعنى متقارب.

والمرادُ قلوبُ الكفار؛ يقال: وَجَفَ القلبُ يَجِفُّ وَجِيفًا: إذا خَفَقَ، كما يقال:
وَجَبَ يَجِبُ وَجِيبًا، ومنه: وَجِيفُ الفرسِ والناقةِ في العَدْوِ، والإيجافُ: حَمَلُ الدابَّةِ
على السَّيرِ السريعِ، قال:

بُدِّلَنَ بَعْدَ جِرَّةٍ صَرِيفًا وبعد طولِ النَّفْسِ الوَجِيفَا^(٦)
و«قلوبٌ» رفعٌ بالابتداء، و«واجفةٌ» صفتُها، و﴿أَبْصَرُهَا خَشِيعَةً﴾ خبرُها، مثل
قوله: ﴿وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ﴾ [البقرة: ٢٢١] ومعنى «خاشِيعَةٌ»: مُنكسرةٌ ذليلةٌ من
هَوْلٍ ما ترى، نظيره: ﴿خَشِيعَةً أَبْصَرُمْ تَهْفَهُمْ ذِلَّةً﴾ [القلم: ٤٣] ^(٧). والمعنى: أبصارُ

(١) ٢٣٤/١٧.

(٢) المحرر الوجيز ٤٣١/٥، وأخرجه بنحوه أحمد (٢١٢٤١)، والترمذي (٢٤٥٧).

(٣) تفسير الطبري ٦٩/٢٤.

(٤) تفسير البغوي ٤٤٣/٤.

(٥) تفسير الرازي ٣٤/٣١، وقوله: مرتكضة، أي: مضطربة، في القاموس (ركض): ارتكض: اضطرب.

(٦) ذكرهما بهذا اللفظ الطبري ٥١٩/١٧ ضمن خبر عن ابن عباس رضي الله عنهما. وقائلهما لبيد، وهما في ديوانه ص ٣٥١ برواية:

بُدِّلَنَ بَعْدَ النَّفْسِ الوَجِيفَا وبعد طولِ الخبيرةِ الصَّرِيفَا

الجرة: ما يفيض به البعير فيأكله ثانية، واللجمة يتعلل بها البعير إلى وقت علفه. والصريف: صرير ناب
البعير، القاموس (جرر) و(صرف).

(٧) الكشف ٢٠٢/٤.

أصحابها، فحذف المضاف.

﴿يَقُولُونَ أَيُّنَا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ أي: يقول هؤلاء المكذبون المنكرون للبعث، إذا قيل لهم: إنكم تُبعثون، قالوا مُنكرين متعجبين: أنردُّ بعد موتنا إلى أول الأمر، فنعود أحياء كما كنا قبل الموت؟ وهو كقولهم: ﴿أَيُّنَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ [الإسراء: ٤٩] يقال: رجع فلان في حافرته، وعلى حافرته، أي: رجع من حيث جاء؛ قاله قتادة^(١). وأنشد ابن الأعرابي:

أَحَافِرَةٌ عَلَى صَلَعٍ وَشَيْبٍ مَعَادَ اللَّهِ مِنْ سَفَهٍ وَعَارٍ^(٢)
يقول: أَرُجِعُ إلى ما كنتُ عليه في شبابي من العَزَلِ والصَّبَا بعد أن شَبْتُ
وصَلَعْتُ! ويقال: رجع على حافرته، أي: الطَّرِيقِ الذي جاء منه. وقولهم في المثل:
النقدُ عند الحافرة. قال يعقوب: أي عند أول كلمة. ويقال: التقى القومُ فاقتتلوا عند
الحافرة، أي: عند أول ما التقوا^(٣).

وقيل: الحافرة: العاجلة، أي: أننا لمردودون إلى الدنيا فنصير أحياء كما كنا؟
قال الشاعر:

أَلَيْتُ لَا أَنْسَاكُمْ فَاعَلَمُوا حَتَّى يُرَدَّ النَّاسُ فِي الْحَافِرَةِ^(٤)
وقيل: الحافرة: الأرض التي تُحَفَّرُ فيها قبورهم، فهي بمعنى المحفورة، كقوله

(١) بنحوه في تفسير الطبري ٧١/٢٤.

(٢) أدب الكاتب ص ٤١٥، وإصلاح المنطق ص ٣٢٧، وأمالي القالي ٢٧/١، والصحاح (حفر). قال البَطْلَيْسِيُّ في الاقتضاب ص ٣٩٤: هذا البيت لا أعلم قائله. اهـ. ونصب حافرة على أنه اسم في معنى المصدر أفيم مقامه، والتقدير: أُرْجوعاً إلى أول أمري، يريد: أُرْجوع رجوعاً، فحذف الفعل واكتفى بمصدره. شرح أبيات إصلاح المنطق للسيرافي ص ٤٦٧.

(٣) الصحاح (حفر) وقول يعقوب (وهو ابن السكيت) في إصلاح المنطق ص ٣٢٧. وقولهم: النقد عند الحافرة، هو لما يباع نقداً، وأصله من بيع الفرس؛ كان يقال: لا يزول حافره حتى يتقد ثمنه. مفردات الراغب (حفر)، وعمدة الحفاظ ٦٩٥/١.

(٤) ذكره أبو حيان في البحر ٨/٤٢٠، والسمين في الدر المصون ١٠/٦٧١.

تعالى: ﴿مَاءٌ دَافِقٌ﴾ [الطارق: ٦] و﴿عَيْشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٢١]. والمعنى: أننا لمردودون في قبورنا أحياء. قاله مجاهدٌ والخليلُ والفراء^(١).

وقيل: سُميت الأرضُ الحافرة؛ لأنها مستَقَرُّ الحوافر، كما سُميت القدمُ أرضاً؛ لأنها على الأرض. والمعنى: أننا لراجعون بعد الموت إلى الأرض فنمشي على أقدامنا.

وقال ابن زيد: الحافرة: النار، وقرأ: ﴿تِلْكَ إِذَا كَرَّهَ نَاسِرَةٌ﴾^(٢). وقال مقاتلٌ وزيد بن أسلم: هي اسمٌ من أسماء النار.

وقال ابن عباس: الحافرة في كلام العرب: الدنيا^(٣).

وقرأ أبو حيوَةَ: «الحَفِرَةَ» بغير ألف^(٤)، مقصوِّرٌ من الحافر، وقيل: الحفيرة: الأرضُ المُنتِنَةُ بأجسادِ مَوْتَاهَا، من قولهم: حَفِرْتُ أسنانه، إذا ركبها الوسخُ من ظاهرها وباطنها^(٥). يقال: في أسنانه حَفْرٌ، وقد حَفَرْتُ تحفِرُ حَفْرًا، مثل كَسَرَ يَكْسِرُ كَسْرًا، إذا فَسَدَتْ أصولُها. وبنو أسدٍ يقولون: في أسنانه حَفْرٌ - بالتحريك - وقد حَفِرْتُ، مثال: تَعَبَ تَعَبًا، وهي أردأُ اللغتين؛ قاله في «الصحاح»^(٦).

﴿أَوَدَا كُنَّا عِظْمًا نَخِرَةً﴾ أي: بالية متفتنة. يقال: نَخَرَ العِظْمُ بالكسر، أي: بَلَى وتَفَتَّتَ؛ يقال: عظام نَخِرَةٌ. وكذا قرأ الجمهورُ من أهل المدينة ومكة والشام والبصرة^(٧)، واختاره أبو عبيد؛ لأنَّ الآثار التي تُذَكَّرُ فيها العظام، نَظَرْنَا فيها

(١) في معاني القرآن ٣/ ٢٣٢، وذكره عن مجاهد والخليل ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٤٣٢، وأخرجه بنحوه عن مجاهد الطبري ٧١/ ٢٤.

(٢) أخرجه الطبري ٧١/ ٢٤-٧٢.

(٣) لم نقف عليه بهذا اللفظ، وأخرج الطبري ٧٠/ ٢٤ عن ابن عباس ؓ، قال: الحافرة: الحياة.

(٤) القراءات الشاذة ص ١٦٨، والمحتسب ٢/ ٣٥٠.

(٥) المحتسب ٢/ ٣٥٠.

(٦) مادة (حفر).

(٧) قرأ بها من السبعة ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وحفص. السبعة ص ٦٧٠، والتيسير ص ٢١٩.

فرأينا نَخْرَةَ لا ناخرة.

وقرأ أبو عمرو وابنه عبد الله وابن عباس وابن مسعود وابن الزبير وحمزة والكسائي وأبو بكر: «ناخِرَةٌ» بِالْفِ^(١)، واختاره الفراء والطبري وأبو معاذ النحوي؛ لوفاق رؤوس الآي^(٢). وفي «الصحاح»: والناخِرُ من العظام: الذي تدخلُ الرِيحُ فيه ثم تخرج منه ولها نَخِير. ويقال: ما بها ناخِرٌ، أي: ما بها أحدٌ. حكاه يعقوبٌ عن الباهلي^(٣). وقال أبو عمرو بن العلاء: الناخِرَةُ: التي لم تنخر بعد، أي: لم تَبَل، ولا بدَّ أن تنخر^(٤). وقيل الناخرة: المُجَوِّفة^(٥).

وقيل: هما لغتان بمعنى، كذلك تقول العرب: نَخَرَ الشيءُ فهو نَخِرٌ وناخِر، كقولهم: طَمِعَ فهو طَمِعٌ وطامِع، وحَذِرٌ وحاذِر، وبَخِلٌ وباخِل، وقَرِهَ وفارِه^(٦)؛ قال الشاعر:

يَظَلُّ بِهَا الشَّيْخُ الَّذِي كَانَ بَادِنًا يَدِبُّ عَلَى عُوجٍ لَهُ نَخِرَاتٍ^(٧)
عُوجٌ: يعني قوائم.

وفي بعض التفسير: ناخرة بالألف: بالية، ونخرة: تنخرُ فيها الريح^(٨)، أي تمرُّ

(١) السبعة ص ٦٧٠، والتيسير ص ٢١٩، وإعراب القرآن للنحاس ١٤٢/٥، دون ذكر أبي عمرو وابنه، والمشهور عن أبي عمرو: «نخرة»، كما في التعليق السابق.

(٢) معاني القرآن للفراء ٣/٢٣١، وتفسير الطبري ٧٢/٢٤.

(٣) الصحاح (نخر).

(٤) بنحوه في المحرر الوجيز ٥/٤٣٢.

(٥) ذكره الفراء في معاني القرآن ٣/٢٣٢ عن بعض المفسرين أنه قال: النخرة: البالية، والناخرة: العظم المجوف الذي تمر فيه الريح فينخر.

(٦) معاني القرآن للفراء ٣/٢٣١-٢٣٢، والكشاف ٤/٢١٣. قال الزمخشري: وَقَعَلُ أَبْلَغُ مِنْ فَاعِلٍ.

(٧) البيت للحطيئة، وهو في شرح ديوانه برواية:

فَظَلُّ بِه الشَّيْخُ الَّذِي كَانَ فَانِيًا يَدِبُّ عَلَى عُوجٍ لَهُ نَخِرَاتٍ
قال الشارح: يَدِبُّ: كأنه يسرع ويمشي وفيه إبطاء لكبره، والعوج: أراد قوائمه قد اعوجَّجَتْ من الكبر.

(٨) النكت والعيون ٦/١٩٦.

فيها، على عكس الأول؛ قال:

مِنْ بَعْدِ مَا صِرْتَ عِظَامًا نَاحِرَةً^(١)

وقال بعضهم: الناحرة: التي أكلت أطرافها وبقيت أوساطها. والناخرة: التي فسدت كلها.

قال مجاهد: نخرة، أي: مرفوتة^(٢)، كما قال تعالى: ﴿عِظَامًا وَرُفُلًا﴾ [الإسراء: ٩٨] ونخرة الريح بالضم: شدة هبوبها. والناخرة أيضاً والنخرة مثال الهمزة: مقدم أنف الفرس والحمار والخنزير؛ يقال: هشم نخرته، أي: أنفه^(٣).

﴿قَالُوا يَا نَارُ كِذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا﴾ أي: رجعة خائبة، كاذبة باطلة، أي: ليست كائنة؛ قاله الحسن وغيره^(٤). الربيع بن أنس: خاسرة على من كذب بها. وقيل: أي: هي كرة خسران. والمعنى: أهلها خاسرون؛ كما يقال: تجارة رابحة، أي: يربح صاحبها. ولا شيء أخسر من كرة تقتضي المصير إلى النار.

وقال قتادة ومحمد بن كعب: أي: لئن رجعنا أحياء بعد الموت لنحسرن بالنار^(٥). وإنما قالوا هذا لأنهم أوعدوا بالنار.

والكرة: الرجوع؛ يقال: كرهه، وكره بنفسه، يتعدى ولا يتعدى. والكرة المرة، والجمع: الكرات^(٦).

﴿فَأَنَّمَا هِيَ زَجْرًا وَتَجْرًا﴾ ذكر جل ثناؤه سهولة البعث عليه فقال: ﴿فَأَنَّمَا هِيَ زَجْرًا

(١) سيأتي قريباً.

(٢) أخرجه الطبري ٧٣/٢٤.

(٣) الصحاح (نخر).

(٤) المحرر الوجيز ٤٣٢/٥، وأخرجه الطبري ٧٣/٢٤ عن قتادة بلفظ: رجعة خاسرة.

(٥) النكت والعيون ١٩٦/٦، وفيه لنحسرن، بدل: لنحسرن.

(٦) الصحاح (كرر).

وَوَيْدَةٌ ﴿١﴾. وَرَوَى الضَّحَّاكُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ^(١) ﴿فَإِذَا هُمْ﴾ أَي: الْخَلَائِقُ أَجْمَعُونَ ﴿بِالْسَّاهِرَةِ﴾ أَي: عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، بَعْدَ مَا كَانُوا فِي بَطْنِهَا. قَالَ الْفَرَّاءُ: سُمِّيَتْ بِهَذَا الْأِسْمِ؛ لِأَنَّ فِيهَا نَوْمَ الْحَيَوَانِ وَسَهْرَهُمْ ^(٢). وَالْعَرَبُ تُسَمِّي الْفَلَاةَ وَوَجْهَ الْأَرْضِ: سَاهِرَةً، بِمَعْنَى: ذَاتِ سَهْرٍ؛ لِأَنَّهُ يُسَهَّرُ فِيهَا خَوْفًا مِنْهَا ^(٣)، فَوَصَفَهَا بِصِفَةِ مَا فِيهَا. وَاسْتَدَلَّ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالْمَفْسَّرُونَ بِقَوْلِ أُمِيَّةَ بِنِ أَبِي الصَّلْتِ:

وَفِيهَا لَحْمٌ سَاهِرَةٌ وَبَحْرٌ وَمَا فَاهُوا بِهِ لَهُمْ مُقِيمٌ ^(٤)
وَقَالَ آخِرُ يَوْمٍ ذِي قَارٍ لِفَرَسِهِ:

أَقْدِمِ مَحَاجٍ إِنَّهَا الْأَسَاوِرَةُ وَلَا يَهُولَنَّكَ رِجْلُ نَادِرَةٍ
فَإِنَّمَا قَصْرُكَ تُرْبُ السَّاهِرَةِ ثُمَّ تَعُودُ بَعْدَهَا فِي الْحَافِرَةِ
مِنْ بَعْدِ مَا صِرْتَ عِظَامًا نَاخِرَةً ^(٥)

وَفِي «الصَّحَاحِ»: وَيُقَالُ: السَّاهُورُ: ظِلُّ السَّاهِرَةِ، وَهِيَ وَجْهُ الْأَرْضِ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: «فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ»، قَالَ أَبُو كَبِيرٍ الْهَذَلِيُّ:

يَرْتَدُّنَ سَاهِرَةً كَأَنَّ جَمِيمَهَا وَعَمِيمَهَا أَسْدَافُ لَيْلٍ مُظْلِمٍ ^(٦)

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ ٧٤/٢٤ عَنْ ابْنِ زَيْدٍ، وَذَكَرَ الْمَوَارِدِيُّ ١٩٦/٦ عَنْ الرَّبِيعِ بْنِ أَنْسٍ، وَلَمْ نَقْفِ عَلَيْهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ.

(٢) مَعَانِي الْقُرْآنِ لِلْفَرَّاءِ ٢٣٣/٣.

(٣) بِنَحْوِهِ فِي إِعْرَابِ الْقُرْآنِ لِلنَّحَّاسِ ١٤٢/٥، وَتَفْسِيرِ الرَّازِيِّ ٣٨/٣١.

(٤) مَعَانِي الْقُرْآنِ لِلْفَرَّاءِ ٢٣٣/٣ وَمَجَازُ الْقُرْآنِ ٢٨٥/٢، وَتَفْسِيرِ الطَّبْرِيِّ ٧٤-٧٥/٢٤، وَالنَّكْتُ وَالْعَيُونُ ١٩٦/٦ وَالْبَيْتُ فِي دِيْوَانِ أُمِيَّةَ ص ١٢١. قَوْلُهُ: فَاهُوا، قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: أَي تَكَلَّمُوا.

(٥) تَفْسِيرِ الطَّبْرِيِّ ٧٥/٢٤، وَالنَّكْتُ وَالْعَيُونُ ١٩٦/٦. وَذَكَرَهَا الْقَالِي فِي أَمَالِيهِ ٢٦/١، وَابْنُ دَرِيدٍ فِي الْجُمْهُرَةِ ٢١٥/٢، عَلَى أَنَّهَا قِيلَتْ فِي الْقَادِسِيَّةِ، مَعَ اخْتِلَافٍ يَسِيرٍ فِيهَا. وَنَسَبَتْ فِي سَمَطِ اللَّالِيِّ ١٢٣-١٢٤ لِلْحَارِثِ بْنِ سَمِيِّ بْنِ رِؤَاسِ الْهَمْدَانِيِّ. وَقَالَ الْبَكْرِيُّ: وَكَانَ قَدْ ضُرِبَتْ رِجْلُهُ فَتَدَرَّتْ، أَي: بَانَتْ، وَقَوْلُهُ: فَإِنَّمَا قَصْرُكَ، أَي: قُصَارُكَ.

(٦) الصَّحَاحُ (سَهْرٌ)، وَالْبَيْتُ فِي شَرْحِ دِيْوَانِ الْهَذَلِيِّينَ ١٠٩٠/٣. قَالَ شَارِحُ الدِّيْوَانِ: الْجَمِيمُ: النَّبْتُ الَّذِي قَدْ نَبَتَ وَارْتَفَعَ قَلِيلًا وَلَمْ يَتِمَّ كُلُّ التَّمَامِ، وَالْعَمِيمُ: الْمَكْتَهَلُ التَّامُ مِنَ النَّبْتِ. ١هـ. وَالْأَسْدَافُ جَمْعُ سَدَفٍ بِالتَّحْرِيكِ، وَهُوَ ظِلْمَةُ اللَّيْلِ. اللَّسَانُ (سَدَفٌ).

ويقال: الساهور: كالغلاف للقمر يَدْخُلُ فيه إذا كَسِفَ، وأنشدوا قولَ أمية بن أبي الصَّلت:

قَمْرٌ وسَاهورٌ يُسَلُّ وَيُغَمَدُ^(١)

وأنشدوا لآخر في وَصْفِ امرأة:

كَأَنَّهَا عِرْقُ سَامٍ عِنْدَ ضَارِيهِ أَوْ شُقَّةٌ خَرَجَتْ مِنْ جَوْفِ سَاهورِ^(٢)
يريد شُقَّةَ القمر.

وقيل: الساهرة: هي الأرضُ البيضاء.

وروى الصَّحاحُ عن ابن عباس قال: أرضٌ من فِصَّةٍ لم يُعَصَّ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَلَيْهَا قَطُّ، خَلَقَهَا حِينْتِذِ.

وقيل: أرضٌ جَدَّدها اللهُ يومَ القيامة. وقيل: الساهرةُ اسمُ الأرضِ السابعةِ يأتي بها اللهُ تعالى فيحاسبُ عليها الخلائق، وذلك حين تبدَّلُ الأرضُ غيرَ الأرض.

وقال الثوريُّ: الساهرة: أرضُ الشام^(٣). وهب بنُ منبه: جبلُ بيتِ المَقْدِسِ. عثمان بنُ أبي العاتِكَةِ: إنه اسمُ مكانٍ من الأرضِ بعَيْنِهِ بالشام، وهو الصَّقْعُ الذي بين جبلِ أريحاءَ وجبلِ حَسَّانِ يَمُدُّهُ اللهُ كيف يشاء^(٤).

قتادة: هي جهنم^(٥)، أي: فإذا هُوَلاءِ الكفارُ في جهنم. وإنما قيل لها: ساهرة؛

(١) ديوان أمية ص ٤٩ ، والصحاح (سهر)، والخزانة ٢٤٩/١ ، وصدرة: لا نقص فيه غير أن خبيثه.

(٢) تهذيب اللغة ١٢٠/٦ ، وأساس البلاغة (سهر)، واللسان (سهر). وصدرة في تهذيب اللغة وأساس البلاغة: كأنها بُهْتَةٌ ترعى بأقرية. وفي اللسان: أو فلقة، بدل: أو شقة. والسام: عروق الذهب والفضة، واحدها سامة. والبهته: البقرة. اللسان (سهر) و(سوم).

(٣) إعراب القرآن للنحاس ١٤٢/٥ ، وتفسير البغوي ٤٤٤/٤ ، ووقع في إعراب القرآن: أرض بالشام.

(٤) النكت والعيون ١٩٦-١٩٧ ، وأخرج القولين الطبري ٧٧-٧٨/٢٤ . وحسان: قرية بين دير العاقول وواسط. معجم البلدان ٢٥٨/٢ .

(٥) أخرجه الطبري ٧٨/٢٤ .

لأنهم لا ينامون عليها حينئذ.

وقيل: الساهرة: بمعنى الصحراء على شفير جهنم، أي: يُوقفون بأرض القيامة، فيدومُ السَّهْرُ حينئذ.

ويقال: السَّاهِرَةُ: الأرضُ البيضاءُ المستوية، سُمِّيَتْ بذلك لأنَّ السَّرَابَ يجري فيها، من قولهم: عينٌ ساهرةٌ: جاريةُ الماء، وفي ضدّها: نائمة؛ قال الأشعثُ بنُ قيس:

وساهرة يُضحى السَّرَابُ مُجَلَّلاً لأقطارِها قد جثُّها مُتَلَشِّماً
أو لأنَّ سَالِكِهَا لا ينامُ خَوْفَ الْهَلَكَةِ^(١).

قوله تعالى: ﴿هَلْ أُنثِقُ حَدِيثُ مُوسَىٰ ۚ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۚ أَخَذَهُ بِإِصْبَعِهِ مِنَ السَّمَاءِ فَسُجِّرَهُ ۚ وَأُلْقِيَ فِي الْخَافِضِ ۚ وَاتَّخَذَ لَهَا الْكَافِرِينَ أُولِي الْأَبْصَارِ ۚ فَجَعَلْنَاهَا قَاعًا ۚ فَعَلَّقْنَا فِيهَا أَهْلَهَا لِطَمَاحِهِمْ أَذْيَبًا ۚ فَجِئْنَاهُمْ مِنْ تَحْتِهَا بِالسَّبْحِ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَىٰ ۚ﴾

قوله تعالى: ﴿هَلْ أُنثِقُ حَدِيثُ مُوسَىٰ ۚ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۚ﴾ أي: قد جاءك وبلغك حديثُ موسى، وهذا تسليةٌ للنبي ﷺ. أي: إنَّ فرعون كان أقوى من كفَّار عَصْرِكَ، ثم أخذناه، وكذلك هؤلاء. وقيل: «هل» بمعنى «ما»، أي: ما أتاك، ولكن أُخْبِرْتُ به، فإنَّ فيه عِبْرَةً لمن يَخْشَى. وقد مضى من حَبْرِ موسى وفرعون في غير موضع ما فيه كفاية.

وفي «طوى» ثلاثُ قراءاتٍ: قرأ ابنُ مُحَيِّصٍ وابنُ عامرٍ والكوفيون: «طُوًى» متوناً، واختاره أبو عبيدٍ لخَفَّةِ الاسم. الباكون بغير تنوين^(٢)؛ لأنَّه معدولٌ، مثل: عُمر

(١) الكلام مع البيت في الكشاف ٤/٢١٣.

(٢) وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو من السبعة. السبعة ص ٦٧١، والتيسر ص ١٥٠.

﴿وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أي: وأرشدك إلى طاعة ربك ﴿فَنَخْسِي﴾ أي: تخافه وتنتقيه.

وقرأ نافع وابن كثير: «تَزَكَّى» بتشديد الزاي، على إدغام التاء في الزاي، لأنَّ أصلها: تزكَّى. الباقون: «تَزَكَّى» بتخفيف الزاي، على معنى طَرَحِ التاء^(١). وقال أبو عمرو: «تَزَكَّى» بالتشديد [تَتَصَدَّقُ بـ]^(٢) الصدقة، و«تَزَكَّى»: تكون زَكِيًّا مؤمناً، وإنما دعا فرعون ليكون زَكِيًّا مؤمناً. قال: فهذا اخترنا التخفيف.

وقال صخر بن جويرية: لَمَّا بعث الله موسى إلى فرعون قال له: ﴿أَذْهَبَ إِلَيَّ فِرْعَوْنُ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَنَخْسِي﴾ ولن يفعل. فقال: يا رب، وكيف أذهب إليه وقد علمت أنه لا يفعل؟ فأوحى الله إليه: أن امضِ إلى ما أمرتك به، فإنَّ في السماء اثني عشر ألف ملك يطلبون علم القدر، فلم يئلغوه ولا يذركوه^(٣).

﴿فَأَرْبُهُ الْآيَةُ الْكُبْرَى﴾ أي: العلامة العظمى وهي المعجزة. وقيل: العصا. وقيل: اليد البيضاء تَبْرُقُ كالشمس. وروى الضحَّاك عن ابن عباس: «الآية الكبرى» قال: العصا. الحسن: يده وعصاه^(٤). وقيل: فُلُقُ البحر. وقيل: الآية: إشارة إلى جميع آياته ومعجزاته.

﴿فَكَذَّبَ﴾ أي: كَذَّبَ نبيَّ الله موسى ﴿وَعَصَى﴾ أي: عصى ربه عزَّ وجلَّ ﴿ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى﴾ أي: ولَّى مُدْبِرًا مُعْرِضًا عن الإيمان، «يسعى» أي: يعملُّ بالفساد في الأرض. وقيل: يعملُّ في نكاية موسى. وقيل: «أدبر يسعى» هارباً من الحية. ﴿فَحَشَرَ﴾ أي: جَمَعَ أصحابه ليمنعوه منها. وقيل: جَمَعَ جنوده للقتال والمُحاربة، والسَّحْرَةَ للمعارضة. وقيل: حشر الناس للحضور. ﴿فَكَادَى﴾ أي: قال لهم بصوت عالٍ ﴿فَقَالَ

(١) السبعة ص ٦٧١، والتيسير ص ٢١٩.

(٢) ما بين حاصرتين زيادة من تفسير الطبري ٨١/٢٤، والكلام فيه بنحوه.

(٣) أخرجه عبد الرزاق ٣٤٦/٢. وصخر بن جويرية هو الإمام المحدث أبو نافع التميمي مولاهم، وقيل:

مولى بني هلال، البصري، توفي سنة بضع وستين ومئة. السير ٤١٠/٧.

(٤) أخرجه الطبري ٨٢/٢٤.

وَقُتِّمَ. قَالَ الْفَرَّاءُ^(١): طَوَى: واد بين المدينة ومصر. قال: وهو معدولٌ عن طاوٍ، كما عُدِلَ عُمَرُ عن عامر.

وقرأ الحسنُ وعكرمةُ: «طَوَى» بكسرِ الطاء، ورُوي عن أبي عمرو. على معنى: المُقَدَّس مرةً بعد مرة؛ قاله الزجاجُ وأنشد:

أَعَاذِلُ إِنَّ اللُّومَ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ عَلِيَّ طَوَى مِنْ غَيْكِ الْمَتَرْدِدِ^(٢)
أي: هو لومٌ مُكْرَرٌ عَلَيَّ. وقيل: ضُمُّ الطَّاءِ وَكَسْرُهَا لَغْتَانٌ، وقد مضى في «طه» القولُ فيه^(٣).

﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ﴾ أي: ناداه ربُّه، فحذف؛ لأنَّ النداء قولٌ، فكأنه: قال له ربُّه: «أَذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ». ﴿إِنَّهُ طَفَنٌ﴾ أي: جاوزَ القَدَرَ فِي العِضْيَانِ.

ورُوي عن الحسن قال: كان فرعون عِلْجًا من هَمْدَانَ^(٤). وعن مجاهدٍ قال: كان من أهلِ إصْطَخْر^(٥). وعن الحسن أيضاً قال: من أهلِ أصْبَهَانَ، يقال له: ذو ظفر، طولُه أربعةُ أشبار.

﴿فَقَلَّ هَلْ لَكَ إِلَّا أَنْ تَزَكَّ﴾ أي: تُسَلِّمَ فَتَطْهَرُ مِنَ الذُّنُوبِ. وروى الضحَّاك عن ابن عباس قال: هل لك أن تشهد أن لا إله إلا الله^(٦).

(١) في معاني القرآن ٢٣٢/٣-٢٣٣.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٢٧٩/٥، ونسبه الزجاج لطرفة وكذلك الفارسي في الحجة ٣٧٢/٦، وليس في ديوانه. ونسب لعدي بن زيد، كما في مجاز القرآن ٢٨٥/٢، ومعجم البلدان ٤٥/٤، وزاد المسير ٢٧٤/٥، واللسان (طوي). والقراءة بكسر الطاء في القراءات الشاذة ص ١٦٨، وتفسير الطبري ٨٠/٢٤.

(٣) ٢٥/١٤.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم، كما في الدر المنثور ١٠٥/٣.

(٥) أخرجه الطبري ١٨٨/١٨.

(٦) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٢٠٥) من طريق عكرمة عن ابن عباس، وأخرجه الطبري ٨١/٢٤ عن عكرمة.

أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى ﴿١﴾ أَي: لا رَبَّ لَكُمْ فَوْقِي.

ويُروى: أن إبليسَ تَصَوَّرَ لفرعون في صورة الإنس بمصرَ في الحمام، فأنكره فرعون. فقال له إبليس: وَيْحَكَ! أَمَا تَعْرِفُنِي؟ قال: لا. قال: وكيف أنت خلقتني؟ أَلَسْتَ الْقَائِلَ: أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى! ذكره الثعلبيُّ في كتاب «العرائس»^(١).

وقال عطاء: كان صنع لهم أصناماً صغاراً وأمرهم بعبادتها، فقال: أَنَا رَبُّ أَصْنَامِكُمْ. وقيل: أراد القادة والسادة، هو ربُّهم، وأولئك هم أربابُ السَّفِيلة. وقيل: في الكلام تقديم وتأخير: فنأدى فحشر^(٢).

﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ أَي: نكأله قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨] وقوله بَعْدُ: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة^(٣). وكان بين الكلمتين أربعون سنة؛ قاله ابن عباس^(٤). والمعنى: أمهله في الأولى، ثم أخذه في الآخرة، فعذبه بكلمتيه.

وقيل: نكأله الأولى: هو أن أغرقه، ونكأله الآخرة: العذاب في الآخرة. وقاله قتادة وغيره^(٥).

وقال مجاهد: هو عذاب أولِ عمره وآخره^(٦).

وقيل: الآخرة قوله: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ والأولى تكذيبه لموسى. عن قتادة أيضاً^(٧).

(١) لم نقف عليه في المطبوع منه.

(٢) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٤٣٣/٥ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) تفسير الطبري ٨٤/٢٤ - ٨٥ عن ابن عباس ومجاهد، وأخرجه عن عكرمة عبد بن حميد كما في الدر المنثور ٣١٣/٦.

(٤) أخرجه الطبري ٨٤/٢٤، وذكره الماوردي في النكت والعيون ١٩٨/٦. وأخرجه الطبري أيضاً ٢٤/٨٦ عن مجاهد.

(٥) النكت والعيون ١٩٨/٦، والوسيط ٤٢٠/٤.

(٦) ذكره الماوردي في النكت والعيون ١٩٨/٦، وأخرجه الطبري ٨٧/٢٤، وفيه: عمله، بدل: عمره.

(٧) ذكره الرازي ٤٣/٣١ دون نسبة.

و«نكال» منصوبٌ على المصدر المؤكِّد في قول الزَّجَّاج؛ لأنَّ معنى أَخَذَهُ اللهُ: نَكَّلَ اللهُ بِهِ^(١)، فَأَخْرَجَ مَكَانَ مَصْدَرٍ مِنْ مَعْنَاهُ، لَا مِنْ لَفْظِهِ. وَقِيلَ: نُصِبَ بِنَزْعِ حَرْفِ الصِّفَةِ، أَي: فَأَخَذَهُ اللهُ بِنِكَالِ الْآخِرَةِ، فَلَمَّا نُزِعَ الْخَافِضُ نُصِبَ. وَقَالَ الْفَرَّاءُ: أَي: أَخَذَهُ اللهُ أَخْذًا نِكَالًا^(٢)، أَي: لِلنِّكَالِ.

وَالنِّكَالُ: اسْمٌ لِمَا جُعِلَ نِكَالًا لِلغَيْرِ، أَي: عَقُوبَةٌ لَهُ حَتَّى يَغْتَبِرَ بِهِ. يُقَالُ: نَكَّلَ فُلَانٌ بِفُلَانٍ: إِذَا أَتَخَنَهُ عَقُوبَةً. وَالكَلِمَةُ مِنَ الْإِمْتِنَاعِ، وَمِنْهُ التُّكُولُ عَنِ الْيَمِينِ، وَالتُّكُلُ: الْقَيْدُ. وَقَدْ مَضَى فِي سُورَةِ الْمَزْمَلِ^(٣)، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ. ﴿إِنِّي فِي ذَلِكَ لَوَسِيءٌ﴾ أَي: اِعْتِبَارًا وَعِظَةً. ﴿لَمَنْ يَخْشَى﴾ أَي: يَخَافُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَوْ السَّمَاءُ بِنهَا ۗ ﴿٧٧﴾ رَفَعَ سَعَتَكُمَا فَسَوَّيْنَاهَا ۗ ﴿٧٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ۗ ﴿٧٩﴾ وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ۗ ﴿٨٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ۗ ﴿٨١﴾ وَالْجِبَالُ أَرْسُنًا ۗ ﴿٨٢﴾ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْفُسِكُمْ ۗ ﴿٨٣﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا﴾: يَرِيدُ أَهْلَ مَكَّةَ، أَي: أَخْلَقَكُمْ بَعْدَ الْمَوْتِ أَشَدُّ فِي تَقْدِيرِكُمْ ﴿أَوْ السَّمَاءُ﴾، فَمَنْ قَدَّرَ عَلَى السَّمَاءِ قَدْرَ عَلَى الْإِعَادَةِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَوْلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ [يس: ٨١]، فَمَعْنَى الْكَلَامِ التَّقْرِيعُ وَالتَّوْبِيخُ.

ثُمَّ وَصَفَ السَّمَاءَ فَقَالَ: ﴿بِنهَا﴾ أَي: رَفَعَهَا فَوْقَكُمْ كَالْبِنَاءِ. ﴿رَفَعَ سَعَتَكُمَا﴾ أَي: أَعْلَى سَقْفِهَا فِي الْهَوَاءِ؛ يُقَالُ: سَمَكْتُ الشَّيْءَ، أَي: رَفَعْتُهُ فِي الْهَوَاءِ، وَسَمَكْتُ الشَّيْءَ سُمُوكًا: ارْتَفَعَ. وَقَالَ الْفَرَّاءُ: كُلُّ شَيْءٍ حَمَلَ شَيْئًا مِنَ الْبِنَاءِ وَغَيْرِهِ فَهُوَ سَمَكٌ. وَبِنَاءٌ مَسْمُوكٌ، وَسَنَامٌ سَامِكٌ تَامِكٌ، أَي: عَالٍ، وَالْمَسْمُوكَاتُ: السَّمَاوَاتُ. وَيُقَالُ:

(١) معاني القرآن للزجاج ٢٨٠/٥ .

(٢) معاني القرآن للفرّاء ٢٣٣/٣ وإعراب القرآن، للنحاس ١٤٤/٥ والعبارة فيهما: فأخذه الله أخذاً نكالاً للآخرة والأولى.

(٣) ٣٣٦ - ٣٣٥/٢١ .

اسْمُكَ فِي الرَّيْمِ، أَي: اضْعُدْ فِي الدَّرَجَةِ^(١).

قوله تعالى: ﴿فَسَوَّيْنَاهَا﴾ أَي: خَلَقَهَا خَلْقًا مَسْتَوِيًّا، لَا تَفَاوُتَ فِيهِ، وَلَا شُقُوقَ، وَلَا فُطُورَ. ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ أَي: جَعَلَهُ مُظْلَمًا؛ غَطَشَ اللَّيْلُ وَأَغْطَشَهُ اللَّهُ، كَقَوْلِكَ: ظَلِمَ وَأُظْلِمَهُ اللَّهُ. وَيُقَالُ أَيْضًا: أَغْطَشَ اللَّيْلُ بِنَفْسِهِ، وَأَغْطَشَهُ اللَّهُ، كَمَا يُقَالُ: أَظْلَمَ اللَّيْلُ، وَأُظْلِمَهُ اللَّهُ. وَالغَطَشُ وَالغَبْسُ: الظُّلْمَةُ. وَرَجُلٌ أَغْطَشُ، أَي: أَعْمَى، أَوْ شَبِيهُ بِهِ، وَقَدْ غَطَشَ، وَالْمَرْأَةُ غَطَشَاءُ، وَيُقَالُ: لَيْلَةٌ غَطَشَاءُ، وَلَيْلٌ أَغْطَشُ. وَفَلَاةٌ غَطَشَى: لَا يُهْتَدَى لَهَا؛ قَالَ الْأَعْمَى:

وَيَهْمَاءٌ بِاللَّيْلِ غَطَشَى الْفَلَاةَ ةٌ يُؤْزِنُنِي صَوْتُ فَيَّادِهَا^(٢)
وَقَالَ الْأَعْمَى أَيْضًا:

عَقَرْتُ لَهُمْ مَوْهِنًا نَاقَتِي وَغَامِرُهُمْ مُدْلَهُمَّ غَطَشُ^(٣)
يَعْنِي بَغَامِرِهِمْ: لَيْلَهُمْ؛ لِأَنَّهُ غَمَّرَهُمْ بِسَوَادِهِ.

وَأَضَافَ اللَّيْلَ إِلَى السَّمَاءِ لِأَنَّ اللَّيْلَ يَكُونُ بِغُرُوبِ الشَّمْسِ، وَالشَّمْسُ مُضَافٌ إِلَى السَّمَاءِ، وَيُقَالُ: نَجُومُ اللَّيْلِ، لِأَنَّ ظَهْرَهَا بِاللَّيْلِ.

﴿وَأَخْرَجَ نُجُومَهَا﴾ أَي: أَبْرَزَ نَهَارَهَا وَضَوْءَهَا وَشَمْسَهَا. وَأَضَافَ الضُّحَى إِلَى السَّمَاءِ كَمَا أَضَافَ إِلَيْهَا اللَّيْلَ^(٤)؛ لِأَنَّ فِيهَا سَبَبَ الظَّلَامِ وَالضِّيَاءِ، بِغُرُوبِ^(٥)

(١) الصحاح (سمك). وذكر القالي في الأمالي ١٦٠/١ عن أبي عمرو بن العلاء قال: أتيت دار قوم باليمن أسأل عن رجل، فقال لي رجل منهم: اسمُكَ فِي الرَّيْمِ، أَي: اعل في الدرجة.

(٢) ديوان الأعشى ص ١٢٣، وتهذيب اللغة ١٦١/١٦، والصحاح (غطش)، واللسان (غطش) وفيه: الأرض اليهماء: التي لا يُهْتَدَى فِيهَا لِطَرِيقِ، وَالغَطَشُ مِثْلُهُ. وَقَوْلُهُ: فَيَّادِهَا، هُوَ ذَكَرَ الْبُومَ. الْقَامُوسُ (فيد).

(٣) لم نقف عليه في ديوان الأعشى، وهو في جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي ١٢١/١، والنكت والعيون ١٩٨/٦، والمحزر الوجيز ٤١٤/٥ ووقع في الجمهرة: وغامرنا، وفي المحزر: وليهم. قوله: موهناً، هو نحو من نصف الليل، أو بعد ساعة منه. القاموس (وهن).

(٤) في النسخ الخطية: كما أضاف الظلمة.

(٥) في (م): وهو غروب.

الشمس وطلوعها.

﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ أي: بَسَطَهَا^(١). وهذا يشير إلى كون الأرض بعد السماء. وقد مضى القول فيه في أول «البقرة» عند قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مِمَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا * ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ [الآية: ٢٩] مستوفى. والعرب تقول: دَحَوْتُ الشيءَ أَذْحوه دَحْوًا: إذا بَسَطْتَه. ويقال لعش النعام: أَدْحِي؛ لأنه مبسوط على وجه الأرض^(٢). وقال أمية بن أبي الصلت:

وَبَثَّ الْخَلْقَ فِيهَا إِذْ دَحَاهَا فَهُمْ قُطَّانُهَا حَتَّى التَّنَادِي^(٣)
وَأَنشُدُ الْمِرْدُ:

دَحَاهَا فَلَمَّا رَأَاهَا اسْتَوَتْ عَلَى الْمَاءِ أَرْسَىٰ عَلَيْهَا الْجِبَالَا^(٤)
وقيل: دحاهَا: سَوَّاهَا، ومنه قولُ زيد بن عمرو:

وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمَتْ لَهُ الْأَرْضُ تَحْمِلُ صَخْرًا ثِقَالَا
دَحَاهَا فَلَمَّا اسْتَوَتْ شَدَّهَا بِأَيْدٍ وَأَرْسَىٰ عَلَيْهِ الْجِبَالَا^(٥)

وعن ابن عباس: خَلَقَ اللهُ الكعبةَ وَوَضَعَهَا عَلَى الْمَاءِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَرْكَانٍ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الدُّنْيَا بِالْقِيَامِ، ثُمَّ دُحِيَتِ الْأَرْضُ مِنْ تَحْتِ الْبَيْتِ^(٦).

وَدَكَرَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: أَنَّ «بَعْدَ» فِي مَوْضِعِ «مَعَ» كَأَنَّهُ قَالَ: وَالْأَرْضُ مَعَ ذَلِكَ

(١) أخرج الطبري ٩٥/٢٤ هذا القول على قتادة والسدي وسفيان.

(٢) في الصحاح (دحا): وَأَدْحِيَّهَا (يعني النعام): مَوْضِعُهَا الَّذِي تَفْرُخُ فِيهِ؛ لِأَنَّهَا تَدْحُوهُ بِرِجْلِهَا ثُمَّ تَبْيِضُ فِيهِ، وَلَيْسَ لِلنَّعَامِ عُنُقٌ. ومثله في غريب الحديث للخطابي ٨١/٣، واللسان (دحا).

(٣) النكت والعيون ١٩٩/٦، وسلف ٣٥٣/١٨ برواية: سَكَانَهَا، بدل: قَطَّانَهَا.

(٤) البيت لزيد بن عمرو بن نفيل، وهو بهذه الرواية في سيرة ابن هشام ٢٣١/١، وسيكرره المصنف بنحوه مع بيت آخر من القصيدة نفسها.

(٥) الأغاني ١٢٨/٣، والنكت والعيون ١٩٩/٦، واللفظ منه، ووقع في الأغاني: سواء، بدل: بأيد.

(٦) أخرجه الطبري ٩٣/٢٤.

دحاها، كما قال تعالى: ﴿عَتَلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيرٍ﴾ [القلم: ١٣] ومنه قولهم: أنت أحمق وأنت بعد هذا سَيِّئُ الخُلُقِ^(١)؛ قال الشاعر:
فقلتُ لها فيئني^(٢) إليك فإنني حرامٌ وإنِّي بعدَ ذاكَ لبيبُ^(٣)
أي: مع ذلك لبيب.

وقيل: «بعد» بمعنى: قبل، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ
الذِّكْرِ﴾ [الأنبياء: ١٠٥] أي: من قبل الفرقان؛ قال أبو خراش الهذلي:
حَمِدْتُ إلهي بَعْدَ عروءةَ إذ نجا خراشٌ وبعضُ الشرِّ أهونُ من بعضِ^(٤)
وزَعَموا أَنَّ خراشاً نجا قبلَ عروءة.
وقيل: «دحاها» حرَّثها وشقَّها. قاله ابن زيد^(٥). وقيل: «دحاها»: مهَّدها
للأقوات. والمعنى مُتقارب.

وقراءةُ العامة: «والأرض» بالنصب، أي: دحا الأرض. وقرأ الحسن وعمرو بن
ميمون: «والأرضُ» بالرفع^(٦) على الابتداء؛ لرجوع الهاء.
ويقال: دحا يدحُو دَحْواً، ودَحَى يدحَى دَحياً، كقولهم: طَعَى يَطْعَى وَيَطْعُو،

(١) تفسير الطبري ٩٣/٢٤، والأضداد لابن الأنباري ص ١١٠. وأخرج الطبري هذا القول عن مجاهد والسدي.

(٢) في (م): عني.

(٣) البيت للمضرب بن كعب بن زهير بن أبي سلمى، كما في مجاز القرآن ٣٠٠/٢، وأمالي القالي ١٧١/٢، والافتصاب ص ٤٧٥، وهو ذون نسبة في أدب الكاتب ص ٦١٥، والأضداد لابن الأنباري ص ١١٠. قال البطلوسي: ويروى لشبل بن الصامت المرِّي، وقال في شرحه: معنى فيئني: ارجعي، والحرام: المُحرِّم. ولبيب هنا بمعنى مُلَبَّب، وصف أن محبوبته لقيها وهو مُحَرِّمٌ مُلَبَّبٌ فتورَّع عن الكلام معها.

(٤) الأضداد لابن الأنباري ص ١٠٨، والبيت في ديوان الهذليين ١٥٧/٢. قال الشارح: عروءة أخوه، وخراش ابنه.

(٥) أخرجه الطبري ٩٥/٢٤، وذكره الماوردي في النكت والعيون ١٩٩/٦.

(٦) القراءات الشاذة ص ١٦٨ عن الحسن.

وطني يَطْعَى، ومحا يَمْحو ويمحى، ولحى العود يُلْحَى ويُلْحُو^(١)، فَمَنْ قال: يدحو، قال: دَحَوْتُ، وَمَنْ قال: يدحى، قال: دَحَيْتُ.

﴿أَخْرَجَ مِنْهَا﴾ أي: أخرج من الأرض ﴿مَاءَهَا﴾ أي: العيون المتفجرة بالماء ﴿وَمَرَعَهَا﴾ أي: النبات الذي يُرعى. وقال القُتَيْبِيُّ^(٢): دَلَّ بشيئين على جميع ما أخرج من الأرض قُوتاً ومتاعاً للأنام، من العُشْبِ والشَّجَرِ والحَبِّ والتَّمْرِ والعَصْفِ والحَطَبِ واللِّبَاسِ، والنارِ والملح؛ لأنَّ النار من العيدان، والمِلْح من الماء.

﴿وَالجِبَالِ أَرْسُنَهَا﴾ قراءةُ العامَّةِ: «والجبال» بالتَّضْب، أي: وأرْسَى الجِبَالِ أَرْسَاهَا، يعني: أثبتَّها فيها أوتاداً لها. وقرأ الحسن وعمر بن ميمون وعمرو بن عبيد ونصر بن عاصم: «والجبال» بالرفع على الابتداء^(٣).

ويقال: هلاًّ أَدْخَلَ حرفَ العطفِ على «أخرج». فيقال: إنه حالٌّ بإضمارٍ قد، كقوله تعالى: ﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ [النساء: ٩٠]^(٤).

﴿مَتَاعاً لَكُمْ﴾ أي: منفعةً لكم ﴿وَالْأَنْعَامِ كُوفُ﴾ من الإبل والبقر والغنم. و«متاعاً» نصب على المصدر من غير اللَّفْظ؛ لأنَّ معنى «أخرج منها ماءها ومرعاها»: أمتع بذلك^(٥). وقيل: نصب بإسقاطِ حرفِ الصِّفَةِ، تقديره: لتتمتعوا به متاعاً.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الكُبْرَى﴾ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ﴿٣٥﴾ وَبُرُزَّتْ أَلْجَبِيهُ لِمَنْ بَرَى ﴿٣٦﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الكُبْرَى﴾ أي: الداهية العظمى، وهي النفخة الثانية

(١) أي: قشره، في اللسان (لحا): لَحَوْتُ العود ألحوه وألحاه: إذا قشرته.

(٢) في تأويل مشكل القرآن ص ٤.

(٣) القراءات الشاذة ص ١٦٨، والمحتسب ٣٥٠/٢.

(٤) الكشاف ٢١٥/٤.

(٥) بنحوه في معاني القرآن للزجاج ٢٨١/٥.

التي يكون معها البعث؛ قاله ابن عباس في رواية الضحّاك عنه، وهو قول الحسن^(١).
وعن ابن عباس أيضاً والضحّاك: أنّها القيامة^(٢)، سمّيت بذلك لأنها تطمّ على
كلّ شيء، فتعمّ ما سواها لعظم هولها، أي: تغلبه. وفي أمثالهم: جرى الوادي فطمّ
على القرّي^(٣).

المبرد: الطامة عند العرب: الداهية التي لا تستطاع، وإنّما أخذت فيما أحسب
من قولهم: طمّ الفرس طميماً: إذا استفرغ جهده في الجري، وطمّ الماء: إذا ملأ
النهر كله. غيره: مأخوذة من طمّ السيل الركيّة، أي: دفنها، والطمّ: الدفن والعلو^(٤).
وقال القاسم بن الوليد الهمداني: الطامة الكبرى حين يساق أهل الجنة إلى الجنة،
وأهل النار إلى النار. وهو معنى قول مجاهد^(٥) وقال سفيان: هي الساعة التي يسلم
فيها أهل النار إلى الزبانية. أي: الداهية التي طمّت وعظمت؛ قال:

إنّ بعض الحبّ يُعمي ويصمّ وكذلك البغض أدهى وأطمّ^(٦)

﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى﴾ أي: ما عمل من خير أو شرّ. ﴿وَوُزِيَتِ الْجَحِيمُ﴾ أي:
ظهرت ﴿لَمَنْ رَى﴾ قال ابن عباس: يكشف عنها فيراها تتلظى كلّ ذي بصير. وقيل:
المراد الكافر؛ لأنه الذي يرى النار بما فيها من أصناف العذاب. وقيل: يراها المؤمن
ليعرف قدر النعمة ويضلى الكافر بالنار. وجواب «فإذا جاءت الطامة» محذوف، أي:

(١) النكت والعيون ٦/٢٠٠ عن الحسن، والمحجر الوجيز ٥/٤٣٤ عن ابن عباس والحسن.

(٢) المحجر الوجيز ٥/٤٣٤، وأخرجه عن ابن عباس الطبري ٩٧/٢٤.

(٣) جمهرة الأمثال ١/٣٠٠، ومجمع الأمثال ١/١٥٩، والمستقصى ٢/٥١. قال الزمخشري: القرّي:
هو مستجمع الماء الكثير، يضرب مثلاً في غلبة الرجل قرنه. وقال العسكري: يضرب مثلاً للأمر
العظيم، يجيء فيعم الصغير والكبير.

(٤) تفسير الرازي ٣١/٤٩، والرّكيّة: البئر. القاموس (ركو).

(٥) النكت والعيون ٦/٢٠٠، وقول القاسم بن الوليد أخرجه ابن أبي شيبة ١٣/٥٥٨، والطبري ٩٧/٢٤.
والقاسم بن الوليد هو أبو عبد الرحمن الكوفي القاضي، روى عن المنهال بن عمرو وقاتدة ومجاهد
وغيرهم، توفي سنة (١٤١هـ). التهذيب ٣/٤٢٣.

(٦) لم نقف عليه.

إذا جاءت الطامة، دخل أهل النار النار وأهل الجنة الجنة^(١).

وقرأ مالك بن دينار: «وَبَرَزَتِ الْجَحِيمُ»^(٢). عكرمة وغيره: «لِمَنْ تَرَى» بالتاء، أي: لمن تراه الجحيم، أو لمن تراه أنت يا محمد. والخطاب له عليه الصلاة والسلام، والمراد به الناس^(٣).

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٤١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أي: تجاوز الحد في العصيان. قيل: نزلت في النضر وأبيه^(٤) الحارث، وهي عامة في كل كافر آثر الحياة الدنيا على الآخرة.

وروي عن يحيى بن أبي كثير قال: مَنْ اتَّخَذَ مِنْ طَعَامٍ وَاحِدٍ ثَلَاثَةَ أَلْوَانٍ فَقَدْ طَغَى.

وروي جُوَيْرِبٌ عَنِ الضَّحَّاكِ قَالَ: قَالَ حذيفة: أَخَوْفُ مَا أَخَافُ عَلَىٰ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَنْ يُؤْثِرُوا مَا يَرَوْنَ عَلَىٰ مَا يَعْلَمُونَ^(٥).

ويروى أنه وُجِدَ فِي الكُتُبِ: إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَالَ: لَا يُؤْثِرُ عَبْدٌ لِي دُنْيَاهُ عَلَىٰ آخِرَتِهِ، إِلَّا بَشَّتْ عَلَيْهِ هُمُومُهُ وَضَيَّعَتْهُ، ثُمَّ لَا أَبَالِي فِي أَيِّهَا هَلَكَ.

﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ أي: مأواه. والألف واللامُ بَدَلٌ مِنَ الهَاءِ. ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ

(١) تفسير الرازي ٥١/٣١، وذكر الرازي وجهاً آخر، وهو أن يكون الجواب: «فإن الجحيم هو المأوى»، قال: وكأنه جزء مركب على شرطين، أي: إذا جاءت الطامة الكبرى، فمن جاء طاعياً، فإن الجحيم مأواه.

(٢) القراءات الشاذة ص ١٦٨، والمحرر الوجيز ٤٣٤/٥.

(٣) المحتسب ٣٥١/٢.

(٤) في النسخ: وابنه، والمثبت من تفسير الرازي ٥١/٣١ وفيه: «طغى وأثر الحياة الدنيا» النضر وأبوه الحارث.

(٥) أخرجه هناد في الزهد (٩٣٥)، وأبو نعيم في الحلية ٢٧٨/١.

مَقَامَ رَبِّهِ ﴿١﴾ أَي: حَذِرَ مَقَامَهُ بَيْنَ يَدَي رَّبِّهِ. وَقَالَ الرَّبِيعُ: مَقَامَهُ يَوْمَ الْحِسَابِ ^(١). وَكَانَ قِتَادَةُ يَقُولُ: إِنَّ لِلَّهِ عِزًّا وَجَلًّا مَقَامًا قَدْ خَافَهُ الْمُؤْمِنُونَ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: هُوَ خَوْفُهُ فِي الدُّنْيَا مِنَ اللَّهِ عِزًّا وَجَلًّا عِنْدَ مُوَاقِعَةِ الذَّنْبِ فَيُقْلِعُ ^(٢). نَظِيرُهُ: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ [الرَّحْمَنُ: ٤٦].

﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ أَي: زَجَرَهَا عَنِ الْمَعَاصِي وَالْمَحَارِمِ. وَقَالَ سَهْلٌ: تَرَكُ الْهَوَى مِفْتَاحُ الْجَنَّةِ؛ لِقَوْلِهِ عِزًّا وَجَلًّا: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: أَنْتُمْ فِي زَمَانٍ يَقُودُ الْحَقُّ الْهَوَى، وَسَيَأْتِي زَمَانٌ يَقُودُ الْهَوَى الْحَقُّ، فَنَعُودُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ الزَّمَانِ. ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ أَي: الْمَنْزَلُ.

وَالْآيَاتَانِ نَزَلَتَا فِي مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ وَأَخِيهِ عَامِرِ بْنِ عُمَيْرٍ، فَرَوَى الضَّحَّاكُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: أَمَّا مَنْ طَغَى، فَهُوَ أَخٌ لِمُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ أُسِرَ يَوْمَ بَدْرٍ، فَأَخَذَتْهُ الْأَنْصَارُ فَقَالُوا: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا أَخُو مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ، فَلَمْ يَشُدُّهُ فِي الْوِثَاقِ، وَأَكْرَمُوهُ وَبَيْتُوهُ عِنْدَهُمْ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا حَدَّثُوا مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ حَدِيثَهُ، فَقَالَ: مَا هُوَ لِي بِأَخٍ، شُدُّوا أُسِيرَكُمْ، فَإِنَّ أُمَّهُ أَكْثَرُ أَهْلِ الْبَطْحَاءِ حُلِيًّا وَمَالًا. فَأَوْثَقُوهُ حَتَّى بَعَثَتْ أُمُّهُ فِي فِدَائِهِ. «وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ» فَمُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَقَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِنَفْسِهِ يَوْمَ أُحُدٍ حِينَ تَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْهُ، حَتَّى نَفَذَتْ الْمَشَاقِصُ فِي جَوْفِهِ - وَهِيَ السَّهَامُ - فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَشَحِّطًا فِي دِمِهِ قَالَ: «عِنْدَ اللَّهِ أَحْتَسِبُكَ»، وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: «لَقَدْ رَأَيْتُهُ وَعَلَيْهِ بُرْدَانٍ مَا تُعْرِفُ قِيمَتَهَا، وَإِنَّ شِرَاكَ نَعَلَيْهِ مِنْ ذَهَبٍ» ^(٣). وَقِيلَ: إِنَّ مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ قَتَلَ أَخَاهُ عَامِرًا يَوْمَ بَدْرٍ ^(٤).

(١) ذكره بنحوه الماوردي في النكت والعيون ٢٠٠/٦.

(٢) أخرج قول قتادة وقول مجاهد الطبري ٢٣٦/٢٢-٢٣٧.

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف ٢١٩/٤ مختصراً دون نسبة، وسلف ٧٦/١٠ خير مصعب بن عمير مع أخيه عندما أسر يوم بدر.

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف ٢١٩/٤، إلا أنه ذكر أبا عزيز بدل عامر، وقال الحافظ في تخرجه أحاديث الكشاف ص ١٨١ عن هذا الخبر والذي قبله: لم أجده. اهـ وينظر ما سلف ٣٠٧/١٧-٣٠٨.

وعن ابن عباس أيضاً قال: نزلت هذه الآية في رجلين: أبي جهل بن هشام المخزومي، ومصعب بن عمير العبدري.

وقال السدي: نزلت هذه الآية ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ في أبي بكر الصديق ﷺ، وذلك أن أبا بكر كان له غلام يأتيه بطعام، وكان يسأله: من أين أتيت بهذا؟ فأتاه يوماً بطعام فلم يسأله وأكله، فقال له غلامه: لِمَ لا تسألني اليوم؟ فقال: نسيْتُ، فمن أين لك هذا الطعام؟ فقال: تَكَهَّنْتُ لِقَوْمٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَأَعْطَوْنِيهِ. فتقايأه من ساعته وقال: يا رب، ما بقي في العروق فأنت حبستَه، فنزلت: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾^(١).

وقال الكلبي: نزلت في مَنْ هَمَّ بِمَعْصِيَةٍ وَقَدَّرَ عَلَيْهَا فِي خُلُوةٍ، ثُمَّ تَرَكَهَا مِنْ خَوْفِ اللَّهِ. ونحوه عن ابن عباس^(٢). يعني مَنْ خَافَ عِنْدَ الْمَعْصِيَةِ مَقَامَهُ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ، فَانْتَهَى عَنْهَا. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَلُهَا﴾ ﴿٤١﴾ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا ﴿٤٢﴾ إِلَى رَبِّكَ مُنْهَلًا ﴿٤٣﴾ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنْ يَخْشَاهَا ﴿٤٤﴾ كَانَتْهُمْ يَوْمَ يُؤْتَوْنَهَا لَوْ بَلَسُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحًى ﴿٤٥﴾

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَلُهَا﴾ قال ابن عباس: سأل مشركو مكة رسول الله ﷺ: متى تكون الساعة استهزاءً، فأنزل الله عز وجل الآية^(٣).

وقال عروة بن الزبير في قوله تعالى: ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا﴾ لم يزل النبي ﷺ يسأل عن الساعة حتى نزلت هذه الآية: ﴿إِلَى رَبِّكَ مُنْهَلًا﴾^(٤). ومعنى «مُرْسَاهَا»، أي: قيامها. قال الفراء: رُسُوها: قيامها، كرسو السفينة^(٥). وقال أبو عبيدة^(٦): أي:

(١) الورع لأحمد ص ٨٤، وحلية الأولياء ٣١/١، وليس فيهما ذكر نزول الآية.

(٢) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٤٣٥/٥.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه بسند ضعيف، كما ذكر السيوطي في الدر المنثور ٣١٤/٦.

(٤) أخرجه عبد الرزاق ٣٤٧/٢.

(٥) معاني القرآن للفراء ٢٣٤/٣، وقال الفراء: وليس قيامها كقيام القائم على رجله ونحوه، إنما هو كقولك: قام العدل، وقام الحق، أي: ظهر وثبت.

(٦) في مجاز القرآن ٢٨٥/٢.

مُنْتَهَاهَا، ومرسى السفينة حيث تنتهي. وهو قولُ ابنِ عباس. الربيعُ بن أنس: متى زمانها^(١). والمعنى متقاربٌ. وقد مضى في «الأعراف» بيان ذلك^(٢). وعن الحسن أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعةُ إلا بغَضَبَةٍ يغضبُها ربُّك»^(٣).

﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِنَهَا﴾ أي: في أي شيء أنت يا محمد من ذكر القيامة والسؤال عنها؟ وليس لك السؤال عنها. وهذا معنى ما رواه الزُّهريُّ عن عروة بن الزُّبير قال: لم يزل النبي ﷺ يسأل عن الساعة حتى نزلت ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِنَهَا؟ إِنْ رَبِّكَ مُنْهِنَهَا﴾^(٤) أي: مُنْتَهَى عِلْمِهَا؛ فكانه عليه الصلاة والسلام لما أكثرُوا عليه سأل الله أن يعرفه ذلك. فقيل له: لا تسأل، فلست في شيء من ذلك.

ويجوزُ أن يكون إنكاراً على المشركين في مسألتهم له، أي: فيم أنت من ذلك حتى يسألك بيانه، ولست ممن يعلمه. روي معناه عن ابن عباس^(٥). والذِّكْرَى بمعنى الذِّكْر.

﴿إِنْ رَبِّكَ مُنْهِنَهَا﴾ أي: مُنْتَهَى عِلْمِهَا، فلا يوجد عند غيره، وهو كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾ [الأعراف: ١٨٧] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤].

﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مَنِ يَخْشَاهَا﴾ أي: مخوفٌ، وخصَّ الإنذارَ بمن يخشى؛ لأنَّهم المنتفعون به، وإن كان مُنْذِرًا لكلِّ مُكَلِّفٍ، وهو كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ﴾ [يس: ١٢]. وقراءةُ العامَّةِ: «منذِرٌ» بالإضافة غير منونٍ؛ ظَلَبَ التخفيف، وإلا فأصله التنوين لأنَّه للمستقبل، وإنما لا ينونُ في الماضي. قال

(١) النكت والعيون ٦/ ٢٠٠.

(٢) ٤٠٥/٩.

(٣) أخرجه الداني في السنن الواردة في الفتن (٣٧٩)، وهو من مراسيل الحسن، ويرويه عنه الحسن بن دينار، قال عنه ابن حبان: تركه وكيع وابن المبارك، فأما أحمد ويحيى فكانا يكذبانه. الميزان ١/ ٤٨٩.

(٤) سلف في بداية تفسير هذه الآية.

(٥) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٢٠٠.

الفراء: يجوزُ التنوينُ وتَرْكُهُ، كقوله تعالى: ﴿بَلِّغْ أَمْرَهُ﴾ [الطلاق: ٣] و«بَلِّغْ أَمْرَهُ» و﴿مُوْهِنٌ كَيْدَ الْكٰفِرِيْنَ﴾ [الأنفال: ١٨] و«موهِنٌ كيدَ الكافرين»^(١)، والتنوينُ هو الأصلُ، وبه قرأ أبو جعفر وشيبة والأعرجُ وابنُ مُحَيصِنٍ وحُميدٌ، وعباسٌ عن أبي عمرو: «منذِرٌ» منوناً^(٢)، وتكون [مَنْ]^(٣) في موضعِ نصبٍ. والمعنى^(٤): إِنَّمَا يَنْتَفِعُ بِإِنذَارِكَ مَنْ يَخْشَى السَّاعَةَ.

وقال أبو علي^(٥): يجوزُ أن تكون الإضافةُ للماضي، نحو: [هذا] ضاربُ زيدٍ أَمْسٍ؛ لَأَنَّهُ قَدْ فَعَلَ الْإِنذَارَ.

والآيةُ ردُّ على مَنْ قال: أحوالُ الآخرةِ غيرُ مَحْسُوسَةٍ، وإِنَّمَا هي راحةُ الرُّوحِ أو تألُّمها من غيرِ حِسِّ.

﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا﴾ يعني الكفارَ يَرَوْنَ السَّاعَةَ ﴿لَمْ يَلْبَثُوا﴾ أي: في دُنْيَاهُمْ. ﴿إِلَّا عَشِيَّةً﴾ أي: قَدَرَ عَشِيَّةً ﴿أَوْ ضُحًى﴾ أي: أو قَدَرَ الضُّحَا الذي يلي تلك العَشِيَّةَ، والمرادُ تَقْلِيلُ مَدَّةِ الدُّنْيَا، كما قال تعالى: ﴿لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ [الأحقاف: ٣٥] وَرَوَى الضُّحَاكُ عن ابنِ عَبَّاسٍ: كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا يَوْمًا وَاحِدًا.

وقيل: «لم يلبثوا» في قبورهم «إِلَّا عَشِيَّةً أو ضُحَاهَا»، وذلك أَنَّهُمْ اسْتَقْصَرُوا مَدَّةَ لَبْثِهِمْ فِي الْقُبُورِ لِمَا عَانَيْنَا مِنَ الْهَوْلِ.

وقال الفراء: يقولُ القائلُ: وهل للعَشِيَّةِ ضُحًا؟ وإِنَّمَا الضُّحَا لَصَدْرِ النَّهَارِ، ولكنْ

(١) معاني القرآن للفراء ٢٣٤/٣، قال الزمخشري في الكشاف ٢١٩/٤: فإذا أريد الماضي فليس إلا الإضافة، كقولك: هو منذرُ زيدٍ أَمْسٍ.

(٢) النشر ٣٩٨/٢ عن أبي جعفر، ورواية عباس عن أبي عمرو في السبعة ص ٦٧١، والمشهور عن أبي عمرو: «منذِرٌ» بالإضافة.

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

(٤) بعدها في (م): نصب، ولا معنى لها.

(٥) في الحجة ٣٧٥/٦، وما سيأتي بين حاصرتين.

أَضِيفَ الضُّحَا إِلَى العِشِيَّةِ - وهو اليَوْمُ الذي يَكُونُ فيه - على عَادَةِ العَرَبِ؛ يَقُولُونَ:
 آتِيكَ العَدَاةَ أَوْ عَشِيَّتِهَا، وَآتِيكَ العِشِيَّةَ أَوْ عَدَاتِهَا، فَتَكُونُ العِشِيَّةُ فِي مَعْنَى آخِرِ النَّهَارِ،
 وَالعَدَاةُ فِي مَعْنَى أَوَّلِ النَّهَارِ؛ قَالَ: وَأَنْشَدَنِي بَعْضُ بَنِي عَقِيلٍ:
 نَحْنُ صَبَحْنَا عَامِرًا فِي دَارِهَا جُرْدًا تَعَادَى طَرْفِي نَهَارِهَا
 عِشِيَّةَ الهَلَالِ أَوْ سِرَارِهَا^(١)

أَرَادَ: عِشِيَّةَ الهَلَالِ، أَوْ عِشِيَّةَ سِرَارِ العِشِيَّةِ، فَهَذَا أَشَدُّ^(٢) مِنْ: آتِيكَ العَدَاةَ أَوْ
 عَشِيَّتِهَا.

(١) معاني القرآن للفراء ٢٣٤/٣، وتفسير الطبري ١٠١/٢٤، وزاد المسير ٢٥/٩، وليس عندهم إلا
 البيتان الأول والثالث، والأبيات الثلاثة في تهذيب اللغة ٢٨٥/١٢، واللسان (سرر)، وذكر الأول
 والثاني صاحب اللسان (صبح) وقال: يريد أتينها صباحاً بخيلٍ جُرْدٍ.

(٢) في مطبوع معاني القرآن للفراء: أَسَدُّ.